ايوان كسرى

بين التاريخ والشعر

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —

المدائن أو مدائن كسرى اسم لطائفة من المدن قامت على جانبي دجلة فى عهد الدولة الساسانية . أعظمها على الشاطىء الشرقى طيسفون ، وتخص باسم المدائن فى التاريخ الاسلامى . وهى محلتان : المدينة العتيقة الى الشمال وهى مدينة قديمة قامت قبل عهد الساسانيين وكان بها القصر الأبيض الذى بناه بعض المتأخرين من الاشكانيين أو الاوائل من الساسانيين ، والمحلة الجنوبية تسمى أسفانبر وكان بها القصر الذى عرف عند العرب باسم « ايوان كسرى » ويظن أن بانيه سابور الاول (٢٤١ — ٢٧٢ م)

وقد اضمحلت المدائن على مر الزمان حتى لم يبق منها فى القرن السابع الهجرى إلا قرية صغيرة حملت هذا الاسم العظيم ، يقول ياقوت : « فأما فى وقتنا هذا فالمسمى بهذا الاسم بليدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد ستة فراسخ . وأهلها فلاحون يزرعون ويحصدون والغالب على أهلها التشيع على مذهب الامامية » وليس فى موضع المدائن الشرقية اليوم إلا قرية صغيرة جداً فيها مسجد سلمان الفارسى رضى الله عنه على نحو ٣٠ كيلو الى الجنوب الشرقى من بغداد . وعلى مقربة من هذه القرية التى تسمى « سلمان پاك » أى سلمان المطهر ، يرى اليوم « طاق كسرى » وهو الذى سماه العرب والفرس فى العهد الاسلامى ايوان كسرى أو ايوان المدائن . وهو بقية من بنية عظيمة بناها سابور الأول وعمرها كسرى أنوشروان وتدل الخرائب حول هذا الطاق أن البناء كان ٤٠٠ متر فى عرض ٣٠٠ ، ويظن أن البناء كله بقى الى عهد العباسيين ، وأن المنصور أو الرشيد حاول أن يهدمه ثم كف عنه . ثم تعاورته غير الزمان حتى لم يبق منه فى القرن السابع الهجرى إلا الايوان . يقول ياقوت فى الكلام عن الايوان : « رأيته وقد بقى منه طاق الايوان حسب ، وقد بقى هذا الطاق وجناحان من البناء على جانبيه يمتدان زهاء مائة متر الى زمن قريب . ثم انقض الجناح الشمالى (٥ ابريل سنة ١٨٨٨ م) وبقى الايوان وجناحه الايسر . وظاهر من بقية هذا الجدار أن علوه كان نحو ٢٥ مترا وأن القصر كان ذا ثلاث طبقات . وقد سقط بعض سقف الطاق وجداره الخلفى وبقى معظم العقد والجداران الجانبيان فى علو وجلال يرتاع لهما كل زائر ، وقد زرت بقية الاحداث من هذا الايوان يوم الاثنين ٢٢ رمضان سنة ١٣٤٩ فى بعثة كلية الآداب من الجامعة المصرية فشهدت جلاد الزمان والانسان ، وتخيلت الطاق نسرا قشعما أنحت عليه الخطوب فحصت ريشه وذهبت بجناح ، وهاضت الآخر ولكنه بقى متجلدا مستكبرا يقلب عينيه فى لوح الجو محاولا أن يسمو الى ملكه الواسع فى عنان السماء .

وصدقت قول البحترى :

فهو يبدى تجلدا وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرسى

وأما القصر الأبيض أو أبيض المدائن فقد هدم فى عهد المكتفى بالله العباسى سنة ٢٩٠ وبنى بانقاضه قصر التاج ، ولكن كثيرا من المؤرخين يخلط بين الايوان والقصر الأبيض كما يتبين من معجم البلدان وغيره

رويت فى ايوان كسرى أشعار ذكر بعضها ياقوت فى معجم البلدان . ومنها بيتان خطبا على الايوان الملك العزيز جلال الدولة البويهى :

يأيها المغرور بالدنيا اعتبر بديار كسرى فهى معتبر الورى
غنيت زمانا بالملوك وأصبحت من بعد حادثة الزمان كما ترى

وأعظم مانظم فى الايوان قصيدتان : قصيدة البحترى وقصيدة فارسية نظمها الخاقانى الشاعر الفارسى المتوفى سنة ٥٩٥ . والبحترى يذكر فى قصيدته ثلاثة أسماء : أبيض المدائن ، والايوان ، والجرماز . والظاهر ان ابيض المدائن فى شعره غير الايوان ، وإن خلط المؤرخون بينهما ، وكأن هذا الخلط كان بعد عصر البحترى وبعد أن هدم الخليفة المكتفى القصر الأبيض سنة ٢٩٠ . فالبحترى يصف فى قصيدته أبنية عدة لابناء واحدا .

وقراء العربية يعرفون سينية البحترى الخالدة ، فلا حاجة الى اثبات بعضها هنا . وحسبى أن أترجم قصيدة الخاقانى . ويرى القارىء أن الشاعر اقتصر منها على الرثاء والبكاء ولم يصف وصف البحترى وقد حذفت منها بضع أبيات بنيت على جناسات ، ورموز مألوفة فى الفارسية ولا يمكن نقلها الى العربية نقلا معجبا :

*

هيا أيها القلب المعتبر أنعم النظر ، فايوان المدائن الامر آة العبر . عرج عن طريق دجلة الى المدائن للذكرى ، وأسل على تراب المدائن دجلة أخرى . إن دجلة لتبكى حتى تحسبها مائة دجلة (١) من الدمع القانى — وانه لدمع تقطر به الاهداب نارا . هذه دجلة تضرم قلبها الحسرات ، فهل سمعت بماء تحرقه الجمرات ؟ أسعد دجلة

(١) دجلة تطلق فى الفارسية احيانا على النهر الكبير

بالبكاء كل حين ، واجعل لها زكاة من دمعك وان يكن البحر يأخذ الزكاة منها (١) . لو مزجت دجلة آهاتها بحرقة قلبها لانقلب نصفها جمدا ، ونصفها للنار موقدا (٢) هلم فناد الايوان بلسان الدمع حينا بعد حين فلعل قلبك يستمع جواب الايوان الحزين . ان هذه الشرفات لا تفتأ ترسل اليك العظات فأصخ واحسن الاستماع اليها : انها تقول: انت من التراب ، ونحن هنا من ترابك ، فامنحنا بعض خطواتك ، ولا تبخل علينا بعبراتك . ان بؤسنا صداعا من نعيب اليوم نهات من دمعك الجلاب (٣) ، وخفف عنا هذه الهموم . قد كنا مجالس للعدل وقد أصابنا من جور الزمان ماترى ، فكيف بقصور الجائرين ماذا أعد لها من النوائب ؟ ماالذى نكس هذا الايوان الذى يحاكى الفلك ؟ أحكم الفلك الدائر ، أم قضاء مدبر الفلك القادر ؟

أيها الضاحك من عيني الباكية اتقول مابيكيه هاهنا . ان العين التى لا تبكى هنا جديرة أن يبكى عليها . هلم فتمثل الايوان والكوفة معا ثم سعر من القلب تنورا وأفض من العين طوفانا (٤) . . . . ذلك هو الايوان الذى نقشت خدود الرجال على تراب عتبته جدارا من الدمى والصور . وتلك هى السدة التى كان يقف بها ملوك الديلم وبابل ، والهند والتركستان . تصور ذلك العهد ، وانظر بعين الفكر تر الصفوف مترادفة ، والمواكب متزاحمة .

لا تعجب فليس عجيبا أن ترى فى بستان هذه الدنيا أسراب البوم بعد البلابل ، وزفرات البكاء بعد ألحان الغناء . . . . سكرى هذه الأرض ، فقد شربت مكان الخمر دم قلب أنوشروان فى كأس من رأس هرمز . تقول أين ذهب أصحاب التيجان واحدا إثر واحد ؟ فانظر فهذه الأرض حبلى بهم الى الأبد . . . ان دم قلب شيرين (٥) هذه الخمر التى تشربها بوهذا الدن الذى يضعه الدهقان ماء بروين وطينته . كم ابتلع هذا التراب من أجساد الجبابرة ثم لا يزال نهما لا يشبع . . !!

ان القادمين من السفر يأتون بالهدايا لاخوانهم . وهذه القصة هدية الى قلوب الاخوان . ياخاقانى اسجد العبرة على هذه الابواب ليقف الخاقان مستجديا على بابك . اه

عبد الوهاب عزام

---

(١) يريد انها تصب فى البحر

(٢) يقال فى اللغة الفارسية (آه سرد) اى الآهة الباردة كناية عن الورقة الشديدة

(٣) يعنى أن الجلاب اى ماء الورد يداوى به الصداع .

(٤) لعله يشير الى الاسطورة التى تقول أن التنور فار فى موضع

(٥) شرين حبيبة كسرى بروين ولها قصة معروفة فى الادب الفارسى

الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية

١ — كيف نشأت بعد الحرب

للاستاذ محمد عبد الله عنان

شهدت اوربة فى العصر الأخير طائفة من الحركات والثورات القوية ، السياسية والاجتماعية ، التى قلبت نظم الحكم والمجتمع ، وغيرت مناحى التفكير والعواطف ، وأثرت فى سير السياسة الدولية اعظم تأثير

ولاريب أن الثورة الفاشستية الايطالية ، والثورة الوطنية الاشتراكية الالمانية او الحركة الهتلرية او النازية ، هما اعظم هذه الحركات والثورات التى بعيدة المدى والآثار فى مصاير اوربة الحديثة والمجتمع الاوربى القديم . والثانية وليدة الاولى فى معنى من المعانى ، وشبيهتها فى بعض الغايات وفى كثير من الوسائل والاجراءات . ولكنها تختلف عنها فى البواعث والظروف التى نشأت فيها ، وفى الغايات الجوهرية التى تعمل لها ، ثم تختلف عنها فى طوالعها ، وفى الآثار التى احدثتها ومازالت تحدثها فى سير السياسة الدولية وفى الرأى العالمى

ولعل اعظم ماتتفق فيه الحركتان الايطالية والالمانية انهما عملتا معا لسحق الشيوعية ، ولتحطيم النظم الدستورية والديمقراطية كلها ، والقضاء على الحريات العامة وكثير من الحريات الفردية بوسائل متماثلة ولغايات متماثلة . وقد كان تفاقم الفوضى الاشتراكية والشيوعية فى ايطاليا عقب الحرب الكبرى اكبر عامل فى وثوب الفاشستية الايطالية . ولكن اكبر عامل فى وثوب الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية هو معاهدة الصلح (معاهدة فرساى) وما فرضته على المانيا من صنوف التمزق والذلة والمغارم ، وما بثته شروطها وفروضها الفادحة فى الشعب الالمانى من يأس وتهالك وانحلال . ويكفى ان نذكر ان معاهدة فرساى قضت باقتطاع الألزاس واللورين ، ووادى السار ، وسيليزيا العليا ، ودانتزج ، وقسما من شلزفيج من المانيا ؛ وقضت بانشاء الممر البولونى داخل ارضها ليمزق بروسيا الشرقية الى شطرين ؛ وقضت بتجريد المانيا من سلاحها وسحق عسكريتها التاريخية ، وتحطيم اسطولها الضخم وجعلها من حيث الدفاع القومى كأصغر دولة ثانوية ؛ وقضت على المانيا بتحمل مسئولية الحرب الكبرى ومن ثم بالزامها بتعويضات مالية فادحة استنزفت مواردها وقوى شعبها ، واحتل الحلفاء من